# (المحاضرة الثامنة)

## حركة التحرر العربي بين الحربين

كانت نهاية الحرب العالمية الأولى إيذاناً بانهيار إمبراطوريات قائمة كانت تسيطر على كثير من بلدان العالم الثالث، إلا أن ذلك لم يؤد الى استقلالها بعد تخلصها من الاحتلال العثماني والاستعمار الألماني أو النمساوي بل وقعت بيد مستعمرين اخرين من بريطانيين فرنسيين ايطاليين وغيرهم، الامر الذي وضع الشعوب التي عانت من الاستعمار المنهار ومنها شعبنا العربي امام مهماتها النضالية من جديد، فكان لا بد لشعبنا في وطنه الكبير الممتد من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي أن يتصدى للقوى الاستعمارية الجديدة مستهدفا التحرر والاستقلال والوحدة، بعد أن يئس من (عدالة)، الحلفاء التي تشدقوا بها كثيراً، وهكذا بدأت سلسلة من الثورات في أرضنا العربية تهز الاستعمار هزاً، جسدتها ثورة ١٩١٩م في مصر وثورة ١٩٢٠ في العراق وثورة ١٩٢٥ في سوريا فضلاً عن ثورات الشعب العربي في ليبيا والمغرب ضد المستعمرين الايطاليين والاسبان والفرنسيين.

### ❖ثور ١٩١٩ في مصر:

- **مقدمات الثورة:**

في الثالث عشر تشرين الثاني ١٩١٨م قابل وفد يمثل الحركة الوطنية المصرية يتألف من سعد زغلول وعلي شعراوي وعبدالعزيز فهمي نائب الملك في مصر السير (ريجنالد وينجيت) مطالبين اياه باستقلال مصر وحريتها، إلا أنه سخر منهم ومن الشعب المصري متهما إيّاه بالجهل وعدم أهليته للاستقلال بل أنه طالب أن تكون مصر عبداً لبريطانيا كما كانت – على حد زعمه –عبد لتركيا. ومما أثار وينجيت تحدث الوفد باسم شعب مصر كله وأدعى بأن الوفد لا يمثل شعب مصر إذ ليس لديهم ما يخولهم التكلم باسمه. ولإنهاء عمل الوفد على أصدر صيغة معينة التوكيل وتسعه أبناء الشعب يفوضون بموجبه الوفد المصري للسفر، وتمثيل البلاد، والمطالبة بحقوقها في لندن وباريس حيث يعقد مؤتمر الصلح. ورغم العراقيل التي وضعتها سلطات الاحتلال أمام حركة التوكيلات تمكن

الوفد من الاستناد قانونياً الى تفريض يسمح له بالتحدث باسم الشعب، ولكن استمرار تمع بريطانيا للحركة أدى الى احتجاج حسين رشدي باشا رئيس الوزراء ثم استقالته داعما بذلك موقف الوفد.

وجنح المحتلون كعادة كل مستعمر الى القوة ظناً منهم أنها تقضي على مقاومة شعب مصر فأرسل الجنرال **(وطسن)** كبير قادتهم يوم ٦ آذار ١٩١٢م داعياً هينة لمقابلته، وما أن دخلوا عليه حتى تلا عليهم انذارا جذرهم فيه بما يلي: -

١ -**اثارة مسألة الحماية ووضعها موضع مناقشة.**

٢ -**وضع العراقيل في طريق تأليف الوزارة الجديدة.**

٣ -**إقامة العتبات في سير الحكومة المصرية في ظل الحماية.**

٤ -**أخذهم بالقسوة والقوة اذا خالفوا هذه التعليمات، وختم كلامه قائلاً: لا مناقشة. وأمرهم بالانصراف.**

أبرق سعد زغلول رئيس الوفد الى رئيس الوزارة البريطانية محتجا على هذا الإنذار وقال أن مصر تطلب الاستقلال التام وترى أن الحماية عمل غير مشروع وتلقي تبعة بناء البلاد بدون حكومة على عاتق المحتلين، وجاء الرد بعد يومين حين صدر مساء ٨ آذار ١٩١٩م قرار ينفي سعد زغلول وزملائه من اعضاء الوفد الى مالطة.

- **قيام الثورة:**

منعت السلطات العسكرية البريطانية الصحف من نشر الخبر إلا أن الجماهير عرفته رغم ذلك، نكان ردها بليغاً، اذ اضرب طلبة المدارس والمعاهد العليا في اليوم التالي ق ٩ آذار وخرجوا بمظاهرة كبيرة، فتوجهوا الى دور قناصل الدول المحتجين، واقتدى بهم عمال التزام فأعلنوا الاضراب بعد ظهر ذلك اليوم، وتبعتهما قطاعات اخرى، فتوالت الإضرابات شملت حركة النقل. وبدأت قوات الاحتلال بإطلاق الرصاص على الطلبة وعلى مجموعة من المصلين كانوا خارجين من أحد المساجد بعد اداء صلاة الجمعة فسقطت مجموعة من الشهداء ما زاد ذلك من غضب الجماهير ونقمتها وثورتها.

انتقلت أخبار الثورة من العاصمة الى الاقاليم وهاجم الشعب سكة الحديد فاقتلعها وعلى محطات القطارات فدمرها على اسلاك البرق فقطعها وعلى كل مرفق يسهل عملية نقل القوات البريطانية، وهكذا عمت الثورة معظم ارجاء البلاد.

وأخيراً شعرت بريطانيا بعدم جدوى القمع الاستعماري فقررت حكومة الاحتلال انتهاج أسلوب جديد يمكنها من تفتيت المعسكر الوطني وضرب القوى الوطنية الواحدة بالأخرى نوصل الى القاهرة الجنرال **(اللنبي)** ليتقلد منصب نائب الملك بدل **(وينجيت)** الذي انتهت مدة خدمته، وقد دعا اللنبي بعض وجهاء البلد والاعيان والعلماء الى اجتماع عام وقال انه مزود من حكومته بسلطات واسعة ومكلف بالقضاء على الثورة وبحث اسباب الشكوى والعمل على ازالتها، فقالوا أن أقرب الطرق وأقصرها وأسهلها هو أطلاق سراح المعتقلين والسماح لهم بالسفر الى باريس لتقديم مطالب مصر. وأضطر اللنبي وحكومته بعد عجزهم عن قمع الثورة تماما وتشكيل حكومة جديدة الى الإعلان يوم ١٧ نيسان ١٩١٩م الى إلغاء الاجراءات ضد رئيس الوفد وزملاه، وأباحت لهم السفر الى باريس، فكان أول فوز يسجله الشعب المصري على سلطات الاحتلال منذ سنة ١٨٨٣م.

أن لقد انتهج البريطانيون طرقا واساليب مختلفة لإجهاض الثورة وشق صفوف الثوار أهمها ما يلي:

١ -**حاولوا القضاء على الثورة بالتلويح لسعد زغلول بالعرش المصري بدلاً من فؤاد شرط قبوله ببقاء الحماية البريطانية ونفصل السودان عن مصر، إلا أن سعداً رفض لان في ذلك تدميراً لسمعته كوطني من جهة وتدميرا لاماني الشعب للمصري بالاستقلال والتحرر من جهة اخرى.**

٢ -**حرك البريطانيون بعض عملا نهم اثناء المظاهرات يهتفون للخديوي المخلوع عباس حلمي بقصد شق وإجهاض الثورة وتوجهها غير الوجهة الوطنية المطلوبة نحو التحرر والاستقلال التام.**

**٣ -نجح البريطانيون في تحريك رجال الإقطاع الذين سايروا الثورة خوفاً على مصالحهم وأرواحهم من انتقام الجماهير فحالوا دون إعلان الجمهورية في مصر وأنها، النظام الملكي الفاسد.**

**٤ -حاول البريطانيون ايضا شق وحدة الصف الوطني بأثارة النعرات الدينية إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل.**

وهكذا سمحت السلطات البريطانية للوفد بالسفر الى اوربا بعد أن ضمنت صمت الدول الأوربية على اجراءاتها في مصر وتأييدها لها، وسرعان، ما عاد الرفد الى مصر بعد أن عرف بموافقة مؤتمر الصلح بباريس على الحماية البريطانية، الامر الذي أسفر عن احتجاج حزب الوفد وكل القوى الوطنية الأخرى.

وفي ٧ كانون الأول ١٩١٩م وصلت الى مصر لجنة بريطانية لتقصي الحقائق عن الثورة واسبابها برئاسة **(الفريد ملنر)** وزير المستعمرات بقصد التخفيف من حالة التوتر النفسي المخيمة على أبناء الشعب المصري وامتصاص النقمة. وظلت هذه اللجنة حتى أذار ١٩٢٠م بعد أن قاطعتها الجماهير واجبرتها على التوجه الى قادة حزب الوفد للتفاوض معهم باعتبارهم ممثلي الشعب المصري، بعد أن حاولت اللجنة إعطاء ظهرها لهؤلاء بقصد ضرب الوحدة الوطنية وطرح قيادتها جانباً، إلا أن المفاوضات بين الوفد بزعامة سعد زغلول **ولجنة ملنر** لم تصل الى نتيجة بسبب التباين الحاد في المواقف فقطعت المفاوضات وعادت اللجنة الى لندن لتقدم تقريرها.

- **معاهدة ١٩٣٦م:**

بدأت مفاوضات المعاهدة في آذار ١٩٣٦م وانتهت بالموافقة عليها في لندن يوم ٢٦ آب ١٩٣٦م وقد اشتملت على شروط مجحفة بحقوق السودان وربطت البلاد بعجلة الامبراطورية البريطانية لمدة عشرين سنة ولم يكن من حق أحد الطرفين والمقصود طبعا ممر أن يطلب تعديلها قبل مضي عشر سنوات.

أما بالنسبة للسودان فقد جعلت هذه المعاهدة منها مستعمرة بريطانية يحرسها جنود مصريون تحت أمرة الحاكم العام البريطاني، كما نصت على استمرار إدارة السودان طبقاً

لاتفاقيتي ١٨٩٩م، وعلى أن يواصل الحاكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين مزاولة السلطات المخولة له.

على أي حال فقد نصت هذه المعاهدة على اعتراف بريطانيا بأن أرواح الأجانب وأموالهم في مصر تدخل ضمن اختصاصات الحكومة المصرية، ونمت كذلك على اعتراف بريطانيا بان نظام الامتيازات الأجنبية لم يعد يلائم روح العصر، وهكذا ألغي هذا النظام في **(مؤتمر مونترو)** بسويسرا سنة ١٩٣٧م ودخلت مصر في عصبة الامم.

ويبدو أن ثقة الشعب بالناس الذي عقد المعاهدة بحكم كونه زعيم الاغلبية البرلمانية ورئيس الوزراء وزعيم حزب الوفد حالت دون مقاومتها بالرغم من انها أطلقت يد بريطانيا في ممر وسخرتها لخدمة مصالح بريطانيا، وكانت نذر الحرب العالمية الثانية تلوح في الانق حتى اندلعت بالفعل في ١ أيلول ١٩٣٩م.

## ❖ثورة ١٩٢٠ في العراق:

تحتل ثورة ١٩٢٠م مكانة متميزة تمثل مرحلة تاريخية من مراحل نضال الشعب العراقي من اجل الوصول الى الحرية الاستقلال.

**فما هي ابعاد هذه الثورة وظروفها وأسبابها:**

لقد كان تخلي المحتلين البريطانيين عن وعودهم وعهودهم بعد إقرار مؤتمر **(سان ريمو)** المنعقد في ٢٥ نيسان ١٩٢٠م لنظام الانتداب البريطاني على العراق ليحل محل الاحتلال العسكري المباشر سبب في أن يفقد الشعب العراقي ثقته ببريطانيا ويدرك بانها غير عازمة على منح العراق حريته واستقلاله، لذلك رفضت الجماهير الانتداب، واكدت أن الحرية تؤخذ ولا تعطى وان الثورة **(سواء نجحت أم أخفقت)** هي الطريق الوحيد لإنجاح قضية الحرية.

كان لثورة ١٩١٩م في مصر أثر كبير في أذكاء وتأجيج الشعور الوطني لدى الجماهير فضلاً عن التأثيرات العربية الأولى عام ١٩١٦م بقيادة الشريف حسين وتشكيل الدولة العربية في سوريا في آذار ١٩٣٠م، الامر الذي يؤكد عمق الصلات العربية، خاصة

وأن عام ١٩٢٠م هو عام الثورات في الوطن العربي، نضلا عن أن المجتمع العراقي كان بحد ذاته يحتل موقعاً متقدماً في شعوره الوطني.

ويمكن لنا اعتبار عن بريطانيا للآمال القومية في الوحدة العربية سببا رئيسا من أسباب الثورة يدعمه تدهور الاحوال الاقتصادية لمجموع أبناء الشعب، وبروز جماعة أثرت على حسان نف إليه وجرعه، وسر، النظام الاداري، والاستخفاف بمشاعر العراقيين واعتقال بعض قادة الحركة الوطنية الامر الذي سبب سخطاً شديداً.

وتأثير الجمعيات والاحزاب المصرية كجمعية حرس الاستقلال وقرعي حزب العهد العراقي في بغداد والموصل والتي ساهمت من خلال نشاطاتها المتعددة في بلورة المشاعر الوطنية ضد الانتداب البريطاني.

***مرت ثورة العشرين في مسيرتها عبر مراحل ثلاث:***

**أولاً:** الاحداث التي مهدت للثورة والتي جرت في بغداد وكربلاء والنجف الاشرف وتلعفر والموصل.

**ثانياً:** تتمثل في الثورة المساحة التي انطلقت في ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠م، بأطلاق عشيرة الظوالم سراح شيخها شعلان ابو الجون الذي اعتقله البريطانيون في سراي **(مخفر)** الرميثة، ثم عمت منطقة الفرات الاوسط.

**ثالثاً:** تتمثل في انتشار الثورة في مناطق العراق الاخرى مثل محافظة الانبار وكوردستان العراق حيث كان لهم دوراً فاعلاً في الثورة، فأبدى العراقيون بطولات فائقة وتضحيات فريدة تستحق الفخر والاعجاب دلت على مدى حب الجماهير للحرية والاستقلال واستعدادها للتضحية في سبيلها ضاربة أورع الأمثلة في الإباء والصلابة.

كبد العراقيون المحتلين البريطانيين خسائر فادحة في الأرواح والأموال والمعدات بلغت **(٢٢٦٩)** إصابة بين قتيل وجريح ومفقود وأسير بالإضافة الى ما لا يقل عن **(٤٠)** مليون باوند استرليني، وهذه الخسائر إن دلت على شيء فإنما تدل على مدة شمولية الثورة وعنفها.

- **الثورة: أهميتها وعوامل فشلها:**

***لقد لعبت عوامل متعددة في إجهاض ثورة ١٩٢٠ منها:***

العنف الذي استعمله البريطانيون وانحياز بعض شيوخ العشائر البهم تدفعهم مصالحهم الشخصية، وخشية البعض الآخر منهم، ويأس آخرين انتصار الثورة. كذلك الخسائر الكبيرة التي تكبدها العراقيون بسبب انعدام التكافؤ بين الفريقين في النواحي الفنية والاقتصادية والعسكرية اضافة الى الحصار الاقتصادي الذي كانت تعاني منه اغلب المدن العراقية والوعود التي اعدتها البريطانيون باستعدادهم لتبديل نهج الادارة والحكم، خاصة بعد عزل ولسن ومجيء السير برسي كوكس كمندوب سام لبريطانيا في العراق الذي وصوله بغداد في تشرين الأول ١٩٢٠م الى أنشاء حكومة أهلية تقود البلاد تحت اشرافه، فضلاً عن اساليبه في الترغيب والترهيب.

رغم عدم نجاح الثورة عسكريا إلا أنها كانت على جانب كبير من الأهمية فقد أحدثت تطوراً في الحياة السبابة وبذرت بذور النهضة بعد جسدت اطارها الوطني وبعد أن تفاعلت مع جذور هذه النهضة داخل الانسان في العراق. فكانت قاعدة المرحلة تطور عالية في مجرى التحرك التحرري قهي وان عجزت عن تحقيق الاستقلال الكامل والجلاء النهائي للاستعمار عن العراق نقد حققت من الجانب الآخر ادخال العراق في مرحلة النهوض حيث وضعته على طرق جديدة من العمل التفكير. كما أنها وحدت كلمة العراقيين وألقت بينهم وأثبتت لهم عملياً قيمة اتحادهم في صراعهم ضد السلطات المحتلة. كما انها كشفت عن وحدة الشعور والتضامن بين العراقيين واظهرت الروح الوطنية بشكل جلي. كما كشفت عن نضج سياسي سواء في بياناتها أو مراسلاتها أو ادارتها لبعض المدن التي صارت تحت سيطرتها كشفت أيضا عن قابليات عسكرية كانت موضعا أعجاب العدو وتقديره.

كما أثبتت الثورة للحكومة البريطانية صعوبة حكم العراق حكم عسكرياً مباشراً، وعززت نظرية فريق من الساسة البريطانيين القائلين بوجوب أقامه حكومة وطنية في العراق تشرف عليها الحكومة البريطانية وتوجه سياستها.

تمثل ثورة العشرين في العراق مرحلة مهمة من مراحل نضال الشعب العراقي وقد تميزت هذه الثورة ببعض المميزات، **منها بما يلي:**

١ -**أن الثورة كانت خاضعة تنظيميا لقيادات مركزية في مناطق متعددة من العراق وان هذه القيادات كانت تنسق فيما بينها بشكل دائم ابان الثورة.**

٢ -**لم يغفل الثوار العمل السياسي وجدوا، قبل خوض معاركهم الدامية نقد رفعوا المذكرات التي توضح أهدافهم بل شكلوا وفوداً للتفاوض ولكن دون جدوى. وهكذا انتقلوا من الوسائل السلمية الى الثورة المسلحة.**

٣ -**كانت الثورة على اتصال دائم بالجماهير الشعبية لتوضيح اهدافها أولاً وتقوية صلاتها بهم ثانياً وتهيئتهم للأحداث ثالثاً والحصول على تأييدهم رابعاً.**

٤ -**كانت اعمال الثورة تدلل على تنظيم وتنسيق وكفاءة عالية في التخطيط وخاصة في المعارك.**

٥ -**كلما حرر الثوار مدينة وطردوا قوات الاحتلال منها ألغوا الإدارة فيها واعادوا تنظيمها من جديد، مما يدلل على وجود بعد نظري وتنظيمي لثورة. كما أسس الثوار في المدن المحرر عددا أمن المجالس الشعبية لإدارة امور المناطق المحررة.**

٦ -**شعر الثوار بأهمية الجانب الاعلامي فأسسوا فضلاً عن المكاتب الشعبية عدة صحف ناطقة باسم الثورة ومثال ذلك جريدة الاستقلال وجريدة الفرات.**

## ❖ثورة ١٩٢٥ في سوريا:

احتلت القوات الفرنسية دمشق بعد معركة ميسلون في تموز ١٩٢٠م وشرعت تحتل المدن الاخرى واحدة تلو الاخرى حتى تم لها احتلال سوريا بأجمعها، فانصرفت الإدارة الفرنسية الى تنظيم شؤون الحكم في ظل الاحتلال على أسس استعمارية خالصة.

وبعد احتلال دمشق زار الجنرال **(غورو)** قائد القوات الفرنسية ضريح صلاح الدين الايوبي وقال **((ها قد عدنا يا صلاح الدين))** معيدا الى الاذهان الحملات العدوانية الأوربية على أرضنا العربية في العصور الوسطى.

كان أول ما فعله المحتلون عند دخولهم دمشق أرسالهم مذكرة الى الحكومة السورية التي أقاموها برئاسة علاء الدين الدروبي تنطوي على المطالب التالية:

١ -**دفع غرامة حربية قدرها عشرة ملايين فرنك ((نصف مليون ليرة ذهبية)).**

٢ -**نزع سلاح الجيش السوري وتحويله الى قوة شرطة وتسليم اسلحته ومعداته ومدافعه الى الجيش الفرنسي كغنائم حربية.**

٣ -**تقديم المسؤولين عن المقاومة للمحاكم الفرنسية التي ستنشأ دمشق.**

٤ -**إنهاء حكم الملك فيصل.**

٥ -**نزع سلاح الأهالي وذلك بتقديم عشرة آلاف بندقية للجيش الفرنسي.**

نفذت حكومة الدروبي هذه المطالب، فجاء رد الفعل الجماهيري سريعا باغتيال الدروبي وبعض رجال حكومته بعد أن أرتف الشرار القطار الذي كان ينقله وأنزلوه ونفذوا به حكم الشعب، كما قتلوا معه عدة جنود فرنسيين كانوا يحمونه.

رد المحتلون على ذلك بإعدام ثلاثة شبان بحجة اشتراكهم بعملية الاغتيال، وأغارت طائراتهم على المنطقة التي تمت فيها عملية القطار فأحرقت بيادرهم ونهبت منازلهم، وأحل الفرنسيون حقي العظم في رئاسة الحكومة، وكان هذا يفوق سلفه في الاستسلام للمحتلين ومخططاتهم. فرد أبناء الشعب السوري على ذلك بمحاولة اغتيال كل من غورو وحقي العظم الا أنهما أصيبا بجراح فقط. وذلك يوم ٢٣ حزيران ١٩٢١م قرب القنيطرة. ورد المحتلون على ذلك باتباع شتى أساليب التفنن بالتعذيب وقتل الكثيرون على الشبهة.

ظلت رياح الثورة والتصدي للمحتلين حتى تأججت بشكلها الواسع النطاق في تموز ١٩٢٥م وسميت بالثورة السورية الكبرى أثناء حكم المفوض السامي الفرنسي الجنرال سراي.

لقد نجحت أسباب عدم الرضا بسبب تعسف الجنرال سراي واستبداد سلطاته خاصة في منطقة جبل العرب وكبنه للحركة الوطنية واستعماله للقوة العسكرية بعنف وحدة ورغبته في تمزيق الوحدة السورية ووحدة المن الوطني، واساءته معاملة شيوخ الجبل، ورفضه نغير الضباط الفرنسيين الذين يسيئون معاملة الأهالي بكل قسوة.

ومن بين اسباب الثورة تشجيع الفرنسيين للروح الاقليمية الانعزالية والطائفية لتمزيق وحدة الصف العربي واضعافها. ولذا تجمعت عوامل محلية وقومية فكانت الثورة السورية الكبرى.

بدأت الثورة في جبل العرب بزعامة سلطان الأطرش حين هاجم الثوار الحامية الفرنسية في قرية الكفر يوم ٢٣ تموز ١٩٢٥م. وسرعان ما انتشرت رياح الثورة في دمشق والقلمون وحماه وحمص ومدن سورية اخرى. وأرسل الجنرال سراي أحد قادته على رأس قوة عسكرية كبيرة لإنقاذ الحامية الفرنسية المحاصرة في قلعة السويداء، ولكن الثوار اشتبكوا مع هذه القوة في ماقع متعددة واجبروها على الهزيمة في **(معركة المزرعة)** في أول آب ١٩٢٥م، وحاول الفرنسيون التفاهم بقصد اجهاض الثورة، مع قادة الثورة، إلا أن هؤلاء ابوا إلا مواصلة قتال المحتلين، فقام الفرنسيون بعمليات مطاردة وتنكيل واسعة ضد الوطنيين وممتلكاتهم.

سرعان ما الحق الشوار هزيمة مرة بالفرنسيين في معركة **(المسيفرة)** في ١٧ تشرين الأول ١٩٢٥م وكادوا يفتكون بهم لولا وصول الطائرات الفرنسية لإنقاذهم. وفي ١٨ تشرين الأول دخل الشوار دمشق وسيطروا على احيائها وكانوا يريدون القبض على الجنرال راي الذي وصل دمشق في اليوم نفسه قادما من بيروت. ولكن سراي تمكن من الهرب الى بيروت وأمر المدنية والطائرات بتمن دمشق لأربع وعشرين ساعة (١٩/٢٠) تشرين الأول ١٩٢٥م انتقاماً فتهدمت مبان عديدة واصيبت احياء سكنية كثيرة بإضرار جسيمة واستشهد كثير من أبناء الشعب السوري، ولم يقف إطلاق المدافع إلا عند موافقة المدينة على دفع تعويض مقداره مائة الف من الجنيهات الذهبية وتسليم الفرنسيين ثلاثة آلاف بندقية.

وعلى الرغم مما تقدمه الحوار من عظيم التضحية وما تحملته البلاد من شديد الآلام نان حدة هذه الثورة لم تخف إلا بعد سنتين من انطلاقتها، بعد أن حشدت فرنسا ضدها قوات كبيرة وضيقت الخناق على منافذ المدن، وتآمرت مع البريطانيين في ذلك ليتولوا غلق الحدود مع الاردن والعراق وفلسطين بوجه الثوار ومنع تموينهم تسليحهم ودعمهم، وبعد أن أعلن

المفوض السامي الفرنسي الجديد **(جوفنيل)** بعد استدعاء سراي. وهو أول مفوض مدني في سوريا عن استعداد فرنسا للنظر في المطالب الوطنية ووقف الحركات الثورية.

وقد ابدى **جوفنيل** بقصد امتصاص السخط الجماهيري استعداده للتفاوض مع الثوار واخذ مطالبهم بنظر الاعتبار، وقد وصلت الى دمشق وفود من المدن السورية تحمل مطالب الثورة، وتلخصت هذه المطالب في وجرب استبدال الانتداب بعاهدة ترمي العلاقات بين فرنسا وسوريا على أساس انشاء حكومة وطنية ذات استقلال كامل على أن ينعقد مجلس تأسيسي منتخب انتخابا حرا لبضع دستوراً للبلاد، وأعاده الوحدة السورية بحدودها الطبيعية فيما عدا جبل لبنان.

وفي ٢٦ نيسان ١٩٢٦م عين جوفنيل رئيسا لدولة سوريا، وفي ٢٦ مارس ١٩٢٦م أعلن الدستور اللبناني الذي تمس فيه على جمهورية لبنان ووحدة أراضيه بما فيها الاقضية الاربعة التي طالب الثوار بإعادتها الى سوريا وهي البقاع وبعلبك، وحاصبيا وراشيا، فاستفز الإعلان الثوار تشار في البدان، وهو أكبر أحياء دمشق وهاجم القوات الفرنسية، نبدأ الفرنسيون عملياتهم العسكرية الانتقامية في الحي وأهله، وهبت رياح الثورة من جديد الامر الذي اضطر جوفنيل الى جلب قوات فرنسية أخرى الى سوريا لقمع الثورة.

وسرعان ما وضع الوطنيون السوريون في ١٧ حزيران ١٩٢٦م الميثاق الوطني لكي يكون دستوراً للحركة الوطنية السورية، وتضمن هذا الميثاق مطالب البلاد التي تتلخص في:

١ -**اعتراف الحكومة الفرنسية باستقلال سوريا التام.**

٢ -**حقها في التمثيل الخارجي.**

٣ -**إنشاء الحكومة وطنية المستندة الى دستور تضعه جمعية تأسيسية منتخبة انتخاباً مباشراً بالاقتراع العام.**

٤ -**تحقيق الوحدة السورية.**

٥ -**إدخال الاصلاحات اللازمة في القضاء ونظام النقد.**

٦ -**إعلان المقر العام عن الإجرام السياسية.**

٧ -**إلغاء الغرامات الحربية.**

**٨ –تحويل الانتداب الى معاهدة بين فرنسا وسوريا لمدة خمسة عشر عاماً.**

**١٠–إدخال سوريا في عملية الامم.**

وبسبب عمق الشعور المعادي لفرنسا وعنفه اضهرت فرنسا مكرهة لبنا ورغبة في التفاوض فأبدلت جوفنبل بـ **(هنري بونسو)** مفرصاً سامياً في ١٤ أب ١٩٢٦م فوصل هذا بيروت في ١١ تشرين الأول ثم اتجه الى دمشق، ولكن بونسو عمد الى سياسة التسويف والمماطلة بدعوى بحث مطالب الحركة الوطنية ودراستها بتأن.

وسمح بونسو بإجراء انتخابات الجمعية التأسيسية فجرت تعلاً في ٣٣ نيسان ١٩٢٨م، فتمخضت عن ظهور ما عرف بالكتلة الوطنية برئاسة **(إبراهيم هنانو)** ومنها ظهرت جماعة أخرى أطلقت على نفسها أسم **(الاستقلاليين)**، لأنها كانت تدعو الى استقلال سوريا التام وكان يرأسه **(شكري القوتلي)** وسيطر رجال الكتلة الوطنية على الجمعية التأسيسية.

وعندما أعدت الجمعية دستوراً لسوريا في سنة ١٩٢٨م تضمن وحدة سوريا ولم يشر الى الانتداب لا من قريب ولا من بعيد، اعتبرته السلطات الفرنسية المحتلة غير مقبول لأنه يفتقدها السلطة، وفوجئ الناس يوم ٢٢ مايس ١٩٣٠م بإعلان دستور جديد لسوريا غير الدستور الذي أعدته الجمعية المنتخبة أعلنه بونسو بعد أن عطل أعمال الجمعية اعتباراً من ١١ آب ١٩٢٨م.

اضاف بونسو الى الدستور المعد المؤلف من **(١١٥)** مادة، مادة أخرى فصار **(١١٦)** والمادة الاخيرة نصت على أن لا تتعارض مواد الدستور مع ما قطعته فرنسا على نفَسها أمام عصبة الامم بشأن سوريا ونظام الانتداب. وفُرض الدستور على الشعب السوري فرضاً. أجريت الانتخابات في نيسان ١٩٣٢م ففاز بها بفعل التزوير الموالون لفرنسا، إلا أن مرشحي الفرنسيين صبحي بركات وحقي العظم لم يفوزا في انتخابات الرئاسة، وكذلك لم يفز مرشح الوطنيين هاشم الاتاسي قرقع الاختبار على محمد علي العابد بموافقة الوطنيين حتى لا يتولاها صبحي بركات كما وافقوا على أن يؤلف حتى العظم الوزارة واشترك نبها اثنان من الوطنيين هما جميل مردم ومظهر أرسلان. ولكن الوزيرين الوطنيين لم يمكثا طويلاً في

الحكم بعد أن تبين لها أن المعاهدة التي تبغي فرنسا عقدها مع سوريا لا تحقق مطالب البلاد وامانيه القومية فاستقال الوزيران في ١٨ نيسان ١٩٣م.

وبسبب مسودة المعاهدة التي وضعتها فرنسا لتكبيل سوريا في ١٩٣٣م، خاصة وأن فرنسا قررت أن تدبر السياسة الخارجية لسوريا فضلاً عن شروط تعجيزية أخرى فرفض ذلك الشعب السوري ، وها رجال الحركة الوطنية مستنكرين ومحتجين فلم يسع المجلس النيابي إلا رفضها خشية انتقام الجماهير رغم أن معظمهم من مرشحي سلطات الانتداب، فقام المفوض السامي بإلغاء المجلس النيابي ومارس اساليب القمع والاعتقال ضد الحركة الوطنية فأضربت دمشق شهرين كاملين سنة ١٩٣٥ وتجاوبت معها المدن السورية الاخرى وعمت المظاهرات والاشتباكات الدموية وبدات الأمور تتحول الى ثورة لاهبة مما اضطر الحكومة المنتدبة الى التفاوض مع زعماء الحركة الوطنية التي كانت تمثلها الكتلة الوطنية والاستقلاليون ومنهم هاشم الاتاسي وشكري القوتلي وجميل مردم وسعد الله الجابري وغيرهم.

كان لاندلاع الاضراب العام في سوريا وخاصة مدنها الرئيسة في ١٩٣٦م احتجاجا على اعتقال بعض قادة الحركة الوطنية بعد مفاوضات فاشلة مهم بحجة عملهم من اجل وحدة البلدين السوري واللبناني، أثر كبير في دفع الفرنسيين الى التفاوض ثانية من اجل عقد المعاهدة التي تحل محل الانتداب وكان الموقف في المشرق العربي والموقف الدولي يدفع فرنسا الى ذلك، خاصة بعد عقد معاهدة ١٩٣٠م بين العراق وبريطانيا التي هيأت العراق للدخول في عصبة الأمم مع استقلال صوري.

وهكذا بدأت المفاوضات بين فرنسا وسوريا وتم التوصل الى عقد المعاهدة في ٩ أيلول ١٩٣٦م في وزارة الخارجية بباريس، وقد نصت على تثبيت سوريا دولة مستقلة وتهيئة جميع الشروط لقبول سوريا في عصبة الامم خلال ثلاث سنوات ابتداء من تاريخ آيار المعاهدة وان يقوم تحالف بين فرنسا وسوريا توثيقاً لمصداقتهما، ونصت الاتفاقية العسكرية على منح فرنسا حق الابقاء على قاعدتين جويتين وأن تضع فرنسا تحت تصرف سوريا بعثة عسكرية لجيشها وتركها بحرتها وطيرانها العسكري. وأن يقوم بتدريب الجيش السوري معلمون واختصاصيون فرنسيون ويتم تسليح الجيش السوري من فرنسا، ومنح السفير الفرنسي حق

الاندية على سائر الممثلين الدبلوماسيين، وهنا يلاحظ التشابه الكبير بين مواد المعاودة الفرنسية–السورية ومعاهدة ١٩٣٠م بين بريطانيا والعراق اذ رغم بعض الاختلافات في التفاصيل فان الخطوط العامة واحدة.

ووقعت فرنسا معاهدة مماثلة مع لبنان في ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٦م بعد مفاوضات جرت في بيروت بين الطرفين. وكانت مشابهة لمواد المعاهدة السورية الفرنسية باستثناء بعض المواد التي تشير الى الاقليات والمشاكل الاقليمية الخاصة بلبنان.

ورغم ما في المعاهدة السورية –الفرنسية من إجحاف فقد لقيت ترحيباً من الدوائر الشعبية لكونها خطرة في طريق الاستقلال حتى أن هاشم الاتاسي رئيس الوفد السوري المفاوض انتخب رئيساً للجمهورية بعد اجراء الانتخابات العامة التي عبرت الشعب بالوطنيين وفي كانون الثاني ١٩٣٧م أعيد العمل بدستور ١٩٢٨م لكن تفاؤل السوريين واللبنانيين سرعان ما تبدد نقد أخرت فرنسا تصديق المعاهدة ثم أعلنت رفضها لها بعد ذلك والأسباب هي:

**١ –تغير الموقف السياسي في فرنسا، فقد وقعت المعاهدة حين كانت الجبهة الشعبية وهي جبهة تضم بعض العناصر السارية في السلطة ولكن هذه الجبهة سقطت وتشكل ائتلاف من احزاب اليمين رفض تصديق المعاهدة.**

**٢ –احتمال العثور على النفط في منطقة الجزيرة بسوريا وحرمان الفرنسيين حال خروجهم من البلاد من فرصة استثمار تلك الثروة.**

**٣ –الرغبة في تسهيل تدفق رؤوس الاموال الفرنسية الى سوريا ولبنان بتشديد قبضة الاحتلال على البلدين.**

**٤ –الأهمية السوقية (الاستراتيجية) للمنطقة وما قد تؤثره على مصالح فرنسا في الشرق الأقصى باعتبارها على طريق المواصلات.**

**٥ –الخشية من تفسخ الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية، خاصة وان ألمانيا أخذت تزيد من تهديداتها الحربية عامي ١٩٣٧م و١٩٣٨م فأرادت فرنسا إبقاء سوريا ولبنان كجزء مكمل للشمال الافريقي المحتل معظمه من قبلها.**

**٦ -تجدد الاضطرابات السياسية في سوريا على أثر إبرام المعاهدة في مجلس النواب السوري لتركيز الحديث حول موضوع المعاهدة السورية . الفرنسية باستثناء بعض المواد التي تشير الى الاقليات والمشاكل المترتبة عن اقتطاع لواء الاسكندرونة الذي تصرفت به فرنسا، فتنازلت عنه لتركيا في ٢٣ حزيران ١٩٣٩م لضمان حيادها في الحرب العالمية الثانية التي كانت رياحها على الابواب، بعد أن كانت الفرات التركية قد احتلته بموافقة فرنسا في ٥ تموز ١٩٣٨م.**

وقد أدى اقتطاع اللواء من الوطن الام الى قيام المظاهرات العنيفة ضد هذا العدوان فعمدت فرنسا الى تعطيل الدستور وحل مجلس النواب في ١٠ تموز ١٩٣٩م. وبدأت ثانية بتجزئة سوريا الى اقاليم وادارات منملة وبهذا تكون فرنسا قد أعادت قبيل الحرب العالمية الثانية حكمها المباشر في سوريا ونعلت ذلك في لبنان ايضا بعد وقت قصير من قيام هذه الحرب في ١ ايلول ١٩٣٩م.